المصحف المبـــوب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء ، وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع هذا العصر أثراً فى مصحفنا ، لأنه يحوى بين دفتيه أعز شىء عندنا ، وهو القرآن الكريم الذى نسعد به فى دنيانا وأخرانا ، فلا يزال هذا المصحف يظهر بيننا فى شكله القديم ، لا شىء فيه إلا ما فى هامشه من بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وليس فى هذا أثر للاخراج العلمى الذى يبذل فى عصرنا عند إخراج الكتب البشرية ، إذ نلحق بها أشياء كثيرة ترغب فى الاطلاع عليها ، وتساعد على الاستفادة منها .

ولا شك أن جودنا بإزاء ما يلزم لمصحفنا فى عصرنا يخالف كل المخالفة حال سلفنا الصالح بإزاء هذا المصحف ، فقد كان القرآن الكريم مفرقاً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى العسب واللخاف وصدور الرجال ، وقد مات وهو على هذه الحال ، فلما كانت وقعة اليمامة فى خلافة أبى بكر أتاه عمر فقال له : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال له أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك ، وأحضر زيد بن ثابت فقال له : إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن ، اجمعه . فتتبعه زيد يجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى جمعه فى صحف مكتوبة ، ثم أخذها فأعطاها أبا بكر ، وقد ائتمروا ما يسمون ذلك ؟ فقال بعضهم : سموه السفر . فرُدَّ عليه بأن هذا تسمية اليهود ، فكرهوه ، وقال بعضهم : رأيت مثله بالحبشة يسمى « المصحف » فاجتمع رأيهم على أن يسموه « المصحف » ، وكان هذا أول تجديد فى ترتيب المصحف وتسميته .

ثم اختلف الناس فى قراءة القرآن على عهد عثمان ، حتى اقتتل

الهم ، فظل قابعاً فى قفصه يفكر فى ماضيه ، ويتخيل الوزير ابن البلار زوج جدته وهو ينقض عليه من غير ذنب جناه ، والخليفة الظافر وقد انساب إليه الرجال يغتالونه على مرأى منه وفى داره ، وهاهوذا يفقد أباه وأخاه ويقاد إلى مصير لاشك فى شدته وقسوته.

لقد جاءت رسل من القاهرة تتعجل قدومه فأنبأته بأن جثة الخليفة أخرجت من بئر فى بيته ، وأن طلائع بن رزيك وضعها فى تابوت سار خلفه حافياً حاسر الرأس ، وتبعه الأمراء والقادة والشعب حفاة حاسرى الرءوس ، وأن الجميع فى انتظار نصر على أحر من الجمر .

كل ذلك وأسير القفص لا ينبس ببنت شفة طول الطريق ، حتى إذا أشرف على القاهرة وبدت لعينيه أبوابها الضخمة ومآذنها العالية نهد وقال :

بلى ، نحن كنا أهلها ، وأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

ومرت برأسه ذكريات مجده القريب ، وذكر المواكب التى كان يختال فيها على جواده ، تعقد عليه الآمال ، وتستعظمه العيون والنفوس ، أما اليوم ، فها هو ذا يدخل القاهرة مقيداً مغلولا ، وما إن لمحه الجمهور حتى هاجت المدينة وماجت كل يريد أن يراه فى قفصه الحديد ، ولم يدع الشعب إهانة ولا سخرية لم يلحقها بنصر ووالد نصر . أما أخوات الظافر ، فما كدن يسمعن بقدومه حتى أرسلن يستعجلن حضوره ، وقد سمح لمن طلائع أن يفعلن به ما يشفى غليلهن ، وكم حزن عند ما علمن أن الموت حال بينهن وبين الانتقام من عباس !

لم تستقبل أخوات الظافر نصراً إلا بالأخفاف والقباقيب ، حتى إذا تبين من ضربه وأدمين وجهه وجسمه ورأسه ، أرسلن إلى أحد الأطباء ، فصلم أذنيه ، وجدع أنفه ، وأخذت هذه الأشلاء فطهيت ، وأجبر نصر على أكلها ، ثم وضع فى قفصه الحديدى ، وطيف به فى القاهرة لم يترك شارع ولا حارة ولا درب إلا شهد الأصلم الأجدع واشترك فى إهانته والسخرية منه ، فإذا تم طوافه بالقاهرة أخذ حياً وعلق على باب زويلة ، وظل هناك عدة أشهر حتى مل الناس رؤيته ، فأنزل وأحرقت جثته وذريت فى الهواء .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول

الغلمان والمعلمون بالمدينة ، وكانوا قد قرأوه بلغاتهم على اتساعها ، فبلغ ذلك عثمان فجمعهم وقال لهم : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً . يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً . فجمعوا اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر فأتوا بها ، وكانت محفوظة فى بيت عمر عند ابنته حفصة ، فأعادوا كتابتها على لغة قريش وحدها ، لأن القرآن نزل أولا بلغتهم ، ثم وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر ، فلما حصل ذلك الخلاف رؤى أن الحاجة إلى تلك التوسعة قد زالت فاقتصر فى كتابته على لغة واحدة ، وكان هذا ثانى تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم فسد اللسان العربى باختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوح الإسلامية ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن ، لأنهم كانوا يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا ، اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ ، فلما ظهر ذلك الفساد أشفق المسلمون على تحريف ألفاظ القرآن ، فوضع أبو الأسود الدؤلىُّ من التابعين علامات فى المصحف بصبغ يخالف لما يكتب به ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله ، وجعل علامة الضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين ، وذلك فى عهد معاوية ، وكان ثالث تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان المصحف يكتب به لتتميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وكانا تلميذين لأبى الأسود الدؤلى ، وقد فعلا هذا بأمر الحجاج بن يوسف ، وفى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان هذا رابع تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم اخترع الخليل بن أحمد الشكل المستعمل الآن ، لأن نقط الإعجام كانت تشتبه أحياناً بنقط الشكل ، وإن كانتا تكتبان بصبغين مختلفين ، وكان من الصعب وضياع الزمن كتابتهما بمدادين ، فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف ، وجعل الفتحة ألفاً صغيرة ، وجعل الكسرة ياء صغيرة ، وجعل الشدة رأس شين ، وجعل السكون رأس خاء ، وجعل همزة القطع رأس عين ، وقد أتى بعد الخليل من اختزل فى هذا الشكل وزاد عليه حتى صار إلى حاله المعروف الآن ، وكان هذا خامس تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وقفت كتابة المصحف عند هذا الحد ، إلا ما حصل من كتابتهم بهامشه بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وهو عمل قليل النفع ، ضعيف الفائدة ، لايدعو إليه إلا ما اعتدناه من العناية فى القرآن بالحفظ دون الفهم ، فقسمناه إلى تلك الأجزاء والأحزاب والأرباع ، لتكون لنا منها أوراد نتلوها للتبرك ، لا للعظة والاعتبار ، لأنه لا يوجد فى ذلك التقسيم ما يلفت إلى الفهم فى القراءة ، ولا تمكن عظة بقراءة من غير فهم .

فيجب أن نعدل عن ذلك التقسيم الذى لا فائدة فيه إلى تبويب السور بهامش المصحف تبويباً يعتمد فيه على الغرض المقصود من كل سورة ، فيقسم إلى أقسام مرتبة متميزة ، تلفت القارئ إلى ما ينطوى تحتها من المعانى ، وتوجهه فى قراءته إلى ما تشير إليه من المقاصد ، لتكون قراءة ناقمة مفيدة ، مؤدية إلى ما أنزل القرآن لأجله ، وهو الهداية .

وسيكون هذا تجديداً عظيما فى ترتيب المصحف وكتابته ، تظهر به سوره متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، فلا يظن ظان أنه ينقصها شىء من اتساق معانيها وانتظام مبانيها ، وقد وقع فى هذا الظن الآثم بعض المستشرقين ، لأنه لم يجد أمامه مثل هذا المصحف الذى تبوَّب سوره بهامشه ذلك التبويب ، وتقسم فيه إلى تلك الأقسام المرتبة المتميزة ، ولو أنه وجده لما وقع فى ذلك الظن ، ولعرف أن سور القرآن متسقة المعانى منتظمة المبانى على خلاف ما ظن ، ولقد مهدت لهذا المصحف بكتابى (النظم الفنى فى القرآن) ، وسيظهر قريباً هذا الكتاب ، ولعلنا نرى قريباً بعده هذا المصحف المبوب .

عبد المتعال الصعيدى

اطلب كتاب

مبادىء فى القضاء الشرعى